

## الكوارث قد، وقد لا، تصنع الرجال

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

خلال جلسة مجلس الوزراء الأخيرة دعا رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي وزارة الداخلية إلى "التعامل بحزم مع كل من يسيء للأمن الداخلي ويعرض حياة المواطنين للخطر".

وقال "لن أسمح بأن تتحول المواقع الوزارية إلى مكينات انتخابية، وارفض رفضاً قاطعاً أي استغلال لإمكانات الدولة من قبل المرشحين". وهذا كلام جميل، كان يمكن اعتباره أمراً نافذاً من رئيس حازم وقوي وشجاع سيجعل الوزراء ومعاونيهم وأصحاب الأحزاب ومسليحيهم يعنون إلى العشرة قبل أن يحاولوا استغلال الرئيس لو كان الكاظمي، وهو رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، من أول يوم جلس فيه على كرسي الرئاسة، قد رفع عصاه بحميّة وشهامة وجراة وشجاعة، وضرب فواجع أول راس، كبيراً كان أو صغيراً، تناول على مقام الرئاسة، أو هدد السيد الرئيس بقطع أذنه، أو طالبه بـ"التغليس" عما يفعله السلاح الحشدي بالبلاد والعباد، ولكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فالكاظمي، بطبعه، ناعم ورقيق لا يحب المعارك وما فيها من وجع رأس، فقد أخطأ بحق نفسه، وبحق شعبه، حين قبل بأن يظلمه الحشديون وخصومهم فيجلسوه على كرسي نوري السعيد وفاضل الجمالي وصالح جبر وتوفيق السويدي وعبدالرحمن البراز وطاهر يحيى وناجي طالب وآخرين صدام حسين، في زمن أسوأ من كل ما مرّ من أزمته، وفي وطن محترق تتناهيه العصابات والاحتلالات وأجهزة المخابرات العدوة والصديقة، وعلى الذي يقبل التحدي ويرضى بحتمل مسؤولية القيادة العليا فيه أن يكون الشهيد المحي، بحق وحقيق، وعنزة بن شداد والإسكندر المقووني وهنتر وموسوليني على القاتل والحرامي اللطيف المسامح الكريم نيلسون مانديلا مع القاتل.

وكتيراً ما تحدثت المؤرخون عن القائد الذي تأتيه القيادة وهي لا تصلح له، وهو لا يصلح لها، وعن الآخر الذي تمشي إليه مشياً وهي لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها.

والمبدأ الثابت الذي لم يتغير، ولن يتغير، هو أن الزعامة تولد مع البعض من الولادة، لا تصنع ولا تُورث ولا تُشترى، ولا يتعلمها الطالب في الجامعة فيصبح مجازاً بالعمل كزعيم، والكاظمي واحد من الذين جاءتهم الرئاسة بالمصادفة والتمشية. ورغم ذلك فقد كان في إمكانه أن يستغل هذه الفرصة الذهبية التي لا تهدى لواحد من عبثات الملايين فيبدأ من الصفر، ويصنع لنفسه زعامة، ويدخل نفسه سجل الخالدين، لو أجاد استخدام وسائل القوة العديدة المتاحة للقائد بين يديه لتغيير الزمن والتاريخ، ولكنه لم يفعل.

ففي أعقاب كل مجزرة أو كارثة حدثت في أيام رئاسته، وما أكثرها، كان في إمكانه أن يمسك بالحراك الشعبي الغاضب، بيد، وبالبند الأخرى يستنهض الروح الانضباطية الوطنية في ضباط القوات المسلحة وجنودها، فيحاصر السلاح المنفلت، ويلقي القبض على أول قتلة المتظاهرين، وهو يعرفهم واحداً واحداً، ثم يباشر، بعد ذلك، مسيرة القمع والشلع، فيدهم قصر أكبر رأس من رؤوس المختلسين، فيخاف الكبار والصغار، وتهدد العاصفة، وتعود هيبة الدولة والقانون، ولكنه اختار الطريق الآخر، فبهرآ عادل عبدالمهدي من دماء شهداء انتفاضة تشرين ومن الفساد والعمالة، ثم تعمد زيادة السلاح المنفلت في مقر قيادته، ورمى ثيابه المدنية وارتدى لباس المجاهدين

يطمئن إطلاقاً، خصوصاً في ضوء ما رآه، وما زالت تمارسه، ميليشياتها في العراق وسوريا ولبنان... واليمن. لدى إيران فرصة كي تؤكد أنها قادرة، بنظامها الحالي، على أن تكون عامل استقرار في المنطقة، خصوصاً أن إدارة بايدن تؤكد يوماً بعد يوم استعدادها لإيجاد صيغة اتفاق تشمل إعادة الحياة إلى الاتفاق في شأن ملفها النووي في إطار أكثر شمولاً يأخذ في الاعتبار عوامل أخرى بينها الصواريخ والسلوك الإيراني خارج حدود "الجمهورية الإسلامية".

ثمة مكان تستطيع إيران أن تظهر فيه أنها ستتعاظم مع أميركا ومع دول الجوار بحسن نية. هذا المكان هو مدينة مارب والمنطقة المحيطة بها التي تصير "الجمهورية الإسلامية" على السيطرة عليها وذلك قبل السماح للحوثيين بالجلوس إلى طاولة المفاوضات. تستخدم إيران حالياً الهجمات التي تتم عن طريق الموجات البشرية للاستيلاء على مارب، يدفع اليمنيون المساكين الذين جيشهم الحوثيون الثمن، يمتلك الحوثيون القدرة على الإتيان بالمزيد من المقاتلين من أجل شن المزيد من العمليات الانتحارية في حين يبدو أن سلاح الجوّ التابع للحزب العربي استطاع إلى الآن مساعدة "الشريعة" اليمنية في صد الهجمات على مارب نفسها.

تعتقد إيران أن سقوط مارب سيعني أنه صار لدى الحوثيين دولة متكاملة قابلة للحياة، لديها موارد طبيعية، خصوصاً أن في مارب معامل كبرياء وسدّ للمياه وثروة نفطية وخط أنابيب يمتد إلى ميناء الحديدة.

مثلاً أن لبنان صار ورقة في الجيب الإيراني، تريد إيران أن تكون الدولة الحوثية في شمال اليمن ورقة أخرى تستخدمها في أي مفاوضات مع الولايات المتحدة ودول الجوار. وهذا ما يفسّر إلى حد كبير ذلك الإصرار على تحقيق انتصار في مارب في هذه الأيام بالذات.

تبدو المعادلة اليمنية في غاية التعقيد، حتى على إيران نفسها التي ترفض الاعتراف بأن أيام براك أوباما ولت إلى غير رجعة، ما لم تستوعبه إيران، على الرغم من أن استعمارها في اليمن لم يكلفها الكثير، أنه مثلما أن لا فائدة تذكر من "الشريعة" اليمنية القائمة من دون إعادة تشكيل لها، لا يستطيع الحوثيون أن يكونوا دولة. يستطيع هؤلاء، الذين يسفون أنفسهم "جماعة أنصار الله"، أن يكونوا جزءاً من دولة، وهذا ما يفهم من كلام محمد بن سلمان. إنهم جزء لا يتجزأ من التركيبة اليمنية التي لا يستطيع فيها أحد إلغاء أحد، إذا فهمت إيران هذا الواقع واستوعبته يمكن أن يكون للقاءات التي حصلت في بغداد أفق سياسي ما إن بالنسبة إلى العلاقات الأميركية - الإيرانية أو السعودية - الإيرانية.

أرباب الكواتم والهروات والعصى والريصاص الحي، فحكم على نفسه وعلى وزارته بانعدام الوزن، وقلة الحيلة وضياح الاحترام، وحكم على شعبه العراقي الذي تأمل فيه خيراً بالمزيد من القتل والحرق والاختلاس. باختصار شديد، إن عووده كثيرة وكبيرة، وإنجازاته صغيرة ونزيرة. فمنذ يوم حصوله على ثقة البرلمان في مايو من العام الماضي وحتى يوم حريق مستشفى ابن الخطيب، قبل أيام، وتعهدهاته تتلاحق دون تنفيذ، حتى بلغت لجانته التحقيقية التي دأب على تشكيلها في أعقاب كل مجزرة أو كارثة أو مصيبة، وبدون نتيجة، أكثر من مئة، والحبل على الجرار.

الم يتعهد بكشف قتلة المتظاهرين في عهد سلفه عادل عبدالمهدي؟ فهل كشف عن واحد منهم، وهو يعرفهم جيداً من أيام عمله رئيساً لجهات المخابرات؟

ثم حثت توالى اعتبالات المتظاهرين واختطاف الناشطين والناشطات، في عهده غير السعيد، واستمر الاعتقال الكيفي والتغيب، هل أعطى الضحايا وأسر الشهداء غير الكلام الكثير؟

كثيراً ما تحدث المؤرخون عن القائد الذي تأتيه القيادة وهي لا تصلح له وهو لا يصلح لها وعن قائد تمشي إليه مشياً وهي لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها

لقد وعد بمنع الميليشيات الولائية من قصف السفارة الأميركية والمنطقة الخضراء ومطار بغداد، وحين أقت قوات مكافحة الإرهاب القبض، بالجرم المشهود مع أدوات الجريمة، على أفراد عصابة خليفة الكاتبوشا المرتبطة بميليشيا كتائب حزب الله بتاريخ 26 من يونيو، وتجرات كتائب حزب الله فاقتمت المنطقة الخضراء وحاصرت مبنى رئاسة الوزراء، وهدده زعيمها بقطع أذنه إن لم يطلق سراحهم فوراً، ألم يكافئه الرئيس بإطلاق سراح رفاقه المعتقلين؟

ثم حدد موعد الانتخابات المبكرة في يونيو القادم، ووعد بتهيئة مناخ سليم ومعافى لإجرائها بتعديل قانون الانتخاب وتغيير أسس عمل المفوضية المستقلة للانتخابات وفرض الإشراف الدولي والمنظمية الحقيقية الدولية والإقليمية والمحلية لضمان نزاهتها، ألم يتراجع ويقبل بتأخيرها، وألم يوافق على قانون انتخابات جديد لا يحقق الحد الأدنى من مطالب المتظاهرين؟

ثم وعد بمعاينة المسؤولين عن كوارث الموصل وبنينوى والأنبار، فماذا فعل؟ والأّن دخل إلى صلب ملف رئاسة الوزراء في العراق، منذ 2003 وحتى اليوم، وتحدث بصراحة ووضوح، فمن أيام وزارة إيباد علوي المؤقتة وحتى نهاية عادل عبدالمهدي لم يجزئ أي رئيس وزراء عراقي على فعل أكثر مما هو مسموح له بفعله من قبل السفارتين الحاكميتين الإيرانية والأميركية، خلافاً لما هو مرئي وظاهر وموهم.

فقد جرت العادة، على أن يصبح ترحيل الرئيس ووزارته أمراً لازماً وحاسماً حين يقبل في ترضية إحدى السفارتين، وهذا ما جرى لإبراهيم الجعفري، ثم لنوري المالكي، ثم لحيدر العبادي، وأخيراً لعادل عبدالمهدي. مصطفى الكاظمي يعرف ذلك، وهو ما يفسر إعلاؤه الأخير عن رغبتة في اعتزال السياسة، والخروج من السلطة خالي الوفاض، لا ضرر ولا ضرار، سلماً ومعافى، لم يقتل أحداً ولم يقتله أحد، وهو أعقل العاقلين.

تبدو المعادلة اليمنية في غاية التعقيد، حتى على إيران نفسها التي ترفض الاعتراف بأن أيام براك أوباما ولت إلى غير رجعة، ما لم تستوعبه إيران، على الرغم من أن استعمارها في اليمن لم يكلفها الكثير، أنه مثلما أن لا فائدة تذكر من "الشريعة" اليمنية القائمة من دون إعادة تشكيل لها، لا يستطيع الحوثيون أن يكونوا دولة. يستطيع هؤلاء، الذين يسفون أنفسهم "جماعة أنصار الله"، أن يكونوا جزءاً من دولة، وهذا ما يفهم من كلام محمد بن سلمان. إنهم جزء لا يتجزأ من التركيبة اليمنية التي لا يستطيع فيها أحد إلغاء أحد، إذا فهمت إيران هذا الواقع واستوعبته يمكن أن يكون للقاءات التي حصلت في بغداد أفق سياسي ما إن بالنسبة إلى العلاقات الأميركية - الإيرانية أو السعودية - الإيرانية.



## السعودية واليمن... وأميركا وإيران

تختلف إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

لعل أهم ما ميّز الحديث الأخير للأمير محمد بن سلمان ولي العهد السعودي تلك اللهجة التصالحية مع "الجمهورية الإسلامية" في إيران وتأكيد أن المملكة العربية السعودية تسعى إلى علاقات جيّدة معها إذ قال "إن السعودية تنظر إلى إيران بصفة كونها دولة جارة" مشيراً إلى أن الرياض "تطمح إلى تكوين علاقات جيدة معها، لكن المشكلة في سلوك طهران السلبي سواء عبر برنامجها النووي أو دعم ميليشيات خارجة عن القانون".

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

## ثمة مكان تستطيع إيران أن تظهر فيه أنها ستتعاظم مع أميركا ومع دول الجوار بحسن نية هذا المكان هو مدينة مارب والمنطقة المحيطة بها التي تصير «الجمهورية الإسلامية» على السيطرة عليها

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

خبر الله خير الله  
إعلامي لبناني

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

تتمتع إدارة أوباما في ضوء هذه النقطة عن إدارة أوباما التي حصرت المفاوضات السريّة مع إيران بها. أجمي معظم هذه المفاوضات في سلطنة عُمان التي لا تزال تلعب دوراً متميزاً في الوقت الحاضر في التقريب بين السعودية والحوثيين عن طريق جهود بيذنها المعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندريكينغ.

